



### مقدمة:

قدمت أمس مآزق المواجهة الذي واجهته حين حاولت تقديم هذا المنظور إلى من لم يَعتد لغته، واليوم أكمل بدءًا بتقديم الموجز للورقة التي قدمتها، وذلك قبل أن أتطرق لبعض محتواها وبعض ما كان (!)

### موجز الورقة (تقريباً)

#### العلاقة الحتمية بين الماضي والمستقبل عبر الواقع الآني

يكاد يكون من المستحيل أن نخطط للمستقبل أو نتنبأ به إلا من خلال قراءة واعية مسؤولة في كل التاريخ، مع التحفظات اللازمة ضد مبدأ أن "التاريخ يعيد نفسه" فهذا ما لا نقصده، وإنما نريد أن نؤكد على أن التاريخ هو جذور الحاضر الذي هو بدوره جذور المستقبل، وفي حالة الطب النفسي تمتد القراءة إلى كل التاريخ الحيوي فالتاريخ البشري. ما أعنيه بالقراءة الواعية المسؤولة هو ألا تقتصر على رصد سلسلة التطورات والأحوال والأحداث التي جرت في الماضي وتوثيقها، بل هي قراءة تشمل حمل أمانة ما يصلنا: بالتعلم منه، والانطلاق إلى التعامل مع حاضرنا من خلال استيعاب دروسه وبرامجه: بما يسهم في دفع عجلة الحياة والتطور - بمعطيات اليوم- إلى ما تعد به طبيعتنا البشرية كما صاغها خالقها إلى كل مجال، ومن بينها إيقان مهنتنا، تلك المهنة الفنية العلمية الإبداعية: الطب النفسي.

الطب النفسي هو فرصة علمية فنية إبداعية لقراءة تاريخ الجنس البشري بل وتاريخ الحياة، فالمرضى الذهاني خاصة (والفصامي بوجه أخص) يكاد يُطلعنا بشكل مباشر على تاريخ الحياة منذ حضور الدنا DNA داخل خلايانا، ومسئولية الطب النفسي مهنة، ثم ثقافة، هي أن نساعد هذا المريض، وكل من هو أخف محنة منه، على إضافة لغة أخرى إلى لغته الحالية يمدنا بها تاريخنا ليس على حسابه فرداً يتمزق، وربما لو نحسن قراءته نتعرف - بفضل - على أصل البشرية وتحديات المستقبل الذي ينتظرها: إما الانقراض، وإما مواصلة التطور.

ما يسمى الطب النفسي التطوري حاول أن يبلغنا نصف الرسالة، أعني: "من أين وكيف"، منبهاً إلى أن علينا أن نقرأ مرضانا من خلال احترام ما نسميه أعراضاً نفسية الآن، فهي التي كانت في يوم من الأيام برامج تطورية لازمة لمرحلة سابقة من تطور الحياة، وقد أدت دورها بكفاءة حينذاك حتى أمكن إحلال ما هو أكثر رقياً وكفاءة منها دون الاستغناء عنها بل مع استيعابها في "الكل الجديد".

الطب النفسي الإيقاعي الحيوي التطوري يؤكد ذلك ويضيف إليه أن هذه العملية التاريخية تتكرر كل أزمة نمو، بل كل يوم وليلة، بل بين لحظة وأخرى، وعلينا - كأطباء - أولاً: أن نحسن قراءتها، ثم علينا أن نواكبها بكل ما لدينا من معلومات، وعلم، وفن، وإبداع. وبهذا نعين مرضانا، إذ نعرفهم بالطول والعرض فنحترمهم، ونحن نحمل أمانة مهنتنا: نسهم في صناعة مستقبلها في القرن الواحد والعشرين إلى القرن الواحد والتسعين إلى ما شاء الله.

(انتهى الموجز)

النشرة:

يكاد يكون من المستحيل أن نخطط للمستقبل أو نتنبأ به إلا من خلال قراءة واعية مسؤولة في كل التاريخ

نريد أن نؤكد على أن التاريخ هو جذور الحاضر الذي هو بدوره جذور المستقبل، وفي حالة الطب النفسي تمتد القراءة إلى كل التاريخ الحيوي فالتاريخ البشري

هي قراءة تشمل حمل أمانة ما يصلنا: بالتعلم منه، والانطلاق إلى التعامل مع حاضرنا من خلال استيعاب دروسه وبرامجه: بما يسهم في دفع عجلة الحياة والتطور - بمعطيات اليوم- إلى ما تعد به طبيعتنا البشرية كما صاغها خالقها إلى كل مجال

الطب النفسي هو فرصة علمية فنية إبداعية لقراءة تاريخ الجنس البشري بل وتاريخ الحياة، فالمرضى الذهاني خاصة (والفصامي بوجه أخص) يكاد يُطلعنا بشكل

## مباشر على تاريخ الحياة منذ حضور الدنا DNA داخل خلايانا

مسئولية الطب النفسى مهنة،  
ثم ثقافة، هى أن نساعد هذا  
المريض، وكل من هو أخوه  
مهنة منه، على إضافة لغة  
أخرى إلى لغته الحالية يمدنا  
بها تاريخنا ليس على حسابه  
فردا يتمزق، وربما لو نحسن  
قراءته نتعرفه - بفضله -  
على أصل البشرية وتحديات  
المستقبل الذى ينتظرها: إما  
الانقراض، وإما مواصلة  
التطور

أن علينا أن نقرأ مرضانا من  
خلال احترام ما نسميه أعراضا  
نفسية الآن، فهى التى كانت  
هى يوم من الأيام برامج  
تطورية لازمة لمرحلة سابقة  
من تطور الحياة

الطب النفسى الإيقاعى  
التطورى يؤكد ذلك ويضيئه  
إليه أن هذه العملية التاريخية  
تتكرر كل أزمة نمو، بل كل  
يوم وليلة، بل بين لحظة  
وأخرى

علينا - كأطباء- أولا: أن  
نحسن قراءتها، ثم علينا أن  
نواكبها بكل ما لدينا  
من معلومات، وعلم، وفن،  
وإبداع. وبهذا نعين مرضانا

يبدو أن عمق انتمائى إلى ما  
وطننى، وهو يتجدد يوميا،  
ويتدعم بمختلف مناهل

برغم طمأنيتى لتقديم هذه الورقة إلى مؤتمر عقد فى بيتى (فأنا اعتبر هذا القسم بيتى أكثر من بيتى)  
إلا أئننى تبيئت ما كنت أتوقعه عن مدى الصعوبة التى على أن أكابدها لأوصل ولو لمحة أساسية مما  
أعيشه منذ ستين عاما، وهو ينضح منى رغما عنى - تقريبا - كل يوم: من واقع الممارسة، ومن  
أغلب ما أقرأه من العلوم الأحدث فالأحدث ليس فى مجال تخصصى فقط، ولكن فى التاريخ والتطور  
وبعض فلسفة العلم<sup>(1)</sup> وفى المنهج ثم فى المستحدث فى تخصصى، أما فى الممارسة فمن واقع ما ألقاه  
كل يوم، بل أكاد أقول كل حالة وخاصة تلك الحالات التى تصاحبنى عاما كاملا، ثم تتبدل بمجموعة  
جديدة عاما بعد عام لمدة 46 سنة، وأيضا ما أقدمه لزملائى الأصغر فالأصغر ونحن نتدارس الحالات  
التى أقوم بالتدريس بعرضها لبناتى وأبنائى الأطباء المقيمين (وأحيانا المدرسين المساعدين والمعيدى  
بالقسم)، ناهيك عن ممارستى الخاصة أتعلم من مرضاى ومن كل زميل ومتدرب أشرف عليه ويشرف  
علىّ، فى أى موقف أمارس فيه وجودى هذا، - أعنى مهنتى - قدمت موضوع هذه الورقة وأنا أعلم  
حجم الصعوبة وأتوقعها وأستعد لدفع ثمنها، ومع ذلك لا أنكر أن المفاجأة كانت أكبر، رحت أبحث بين  
الحاضرين عن وجوه بعض بناتى وأبنائى ممن يتابعونى أسبوعيا كل أربع وخميس بالقسم، ولاح لى  
بعض منها، كما لمحت وجوها أقل ممن أرجح أنهم يتابعون بعض ما أكتب فى الموضوع فى موقعى  
يومية<sup>(2)</sup> فهدأت قليلا وتوكلت على الله.

هذا المأزق ليس حديثا علىّ، ولا أعرف له حلا سهلا حتى الآن، ويبدو أن عمق انتمائى إلى ما  
وصلنى، وهو يتجدد يوميا، ويتدعم بمختلف مناهل المعرفة الأحدث التى تتاح لى، هو الذى يصور لى  
أن الأمر سهل ومباشر، وأن كل ما عدا ذلك هو الذى يحتاج شرحا وتبريرا، فى حين أن واقع الحال  
مما يصلنى من مثل هذه المؤتمرات هو أن الأمر يكاد يكون بالعكس تماما فهى مسئوليتى مهما كان  
الأمر ولا بد من البحث عن حل.

بدأت الورقة بالتذكرة بأن عمر الحياة على الأرض هو 35 بليون سنة، وأنا إن لم نستوعب ذلك  
فقد تكون رؤيتنا للمستقبل وللقرن الواحد والعشرين (عنوان المؤتمر) قاصرة!! ثم ألحقت ذلك مباشرة  
بأن العلم الأحدث فالأحدث وخصوصا العلوم الكوانتية Quantum Sciences أصبح يتعامل مع  
الجزء من ألف من الثانية ويعطى له أهمية قصوى ويؤثر ذلك فى دراسات النيوروبولوجيا الأحدث،  
ودعوت أبا من الحاضرين حين يعود لمكتبه أن يستشير عمنا "جوجل" بسؤال مباشر عن "ماذا يحدث  
فى جزء من ألف من الثانية؟" وسوف يجد إجابات رائعة وكثيرة وغريبة ومزعجة لكنها حقائق  
مرصودة من أول سرعة الضوء وحتى رف جفون العينين.

الحقت هذا وذلك بالحقيقة "العلمية" التى أكررها باستمرار وهى أن ما تبقى من الأحياء كلهم هو  
واحد فى الألف من سائر الأحياء الذين وجدوا على الأرض ومن بين هؤلاء الأحياء الذين بقوا كائن  
يسمى "الإنسان"، وكل ما حوله من أحياء استطاعوا حذق استيعاب البرامج التى أتاحتها خالقهم لهم ولنا  
بكفاءة تُبقي من يحسن استعمالها، وبالتالي نجحوا أن يقاوموا الانقراض حتى تاريخه (الآن)! إذن فنحن  
وهم لا نمثل إلا واحدا من ألف مما خلق الله فى حين فشلت الأغلبية الغالبة أن تتبع برامجه وقوانينه،  
فانقرضت.

توقفت قليلا ورحت أتطلع إلى الوجوه وأنا أعرض هذه الأرقام والأشكال والفيديو المسجلة لما  
أقول، فلم أجد ما تصورته من تعجب أو رفض أو انزعاج، ومع أن هذه الحقائق نشرت فى مراجع  
علمية رصينة فى علوم مختلفة متكاملة، لكننى استبعدت أن تبقى وتعاود محاولة أن تخطر ببال  
الشخص العادى، ولا العالم الجهبذ المستغرق فى دائرة اختصاصه بعيدا عنها، فما بالك بالزميل الطبيب  
النفسى المغمور بما يحيطه من مراجع وكيمياء وتقسيمات مليئة بالتشخيص الوصفى التجزيئى  
والأعراض ومضاداتها الكيميائية.

مثل هذا الدارس أو طالب العلم حين تصل إليه مثل هذه الحقائق مجردة واضحة: هو إما أن يحترم الأرقام لاحترامه مصادرها الموثقة دون أن يعايشها، وإما أن يتشكك فيها، ويزيحها أبعد ما تكون عن بؤرة منظومته العلمية، وبالذات عن تأثيرها على وعيه بوجوده، وبقدرة ربه، وبعظمة تاريخه الحيوي فالبشرى، وباحتمال مساره، وإما أن يشجب كل هذه المعلومات ويشكك في منهج الحصول عليها، وفي أحيوية العلوم التي أفرزتها بأن تدرج ضمن العلوم الأصلية.

ما كل هذا؟

تعالوا نقرأ بإيجاز هذه الأرقام الثانية:

- عمر الحياة 35 بليون سنة 000.000.000 بليون سنة
- واحد على ألف من الثانية تحدث فيه أحداث ودورات قد تغير مسار النمو والتطور
- من بقى من الأحياء كلها هو واحد في الألف من مجموع الأحياء.
- ثم إنى أضفت عرض المعلومة التي وصلتني مؤخرا من أحدث الأحداث في

النيوربيولوجية المخية وكيف أن المخ يعيد بناء نفسه باستمرار باستمرار ليل نهار!

ما ذنب الحاضرين المؤتمر يتباحثون في مستقبل الطب النفسى فى القرن الواحد والعشرين، وما علاقة كل هذه الأرقام التي تكاد تبدو أحاجى وألغاز لا لزوم لها بالممارسة اليومية لعلاج مرضى يعانون نفسيا بما شاع من أعراض وما سُميَ من أمراض؟

حين حضرتتى هذه الاحتمالات لوهلة كدت أتوقف وأنا أحترم اتساع المسافة التي تخلقت بين المتحدث - أنا - وبين المستمعين، ومع ذلك تماديت وأكملت لأدخل بسرعة إلى فروضى الخاصة النابعة من تضفر مثل هذه المعلومات مع حركية الوعى فى الممارسة الإكلينيكية، أكملتُ أُبَيِّنُ - بطريق غير مباشر- إن الإنسان هو الذى ورط نفسه بإعلان هذه الحقائق وتكرار هذه الأرقام، وأن سائر الأحياء من الواحد فى الألف الذين بقوا معه حتى الآن قد نجحوا فى البقاء من خلال استعمال نفس هذه البرامج وآليات الدفاع ضد الانقراض، ومن أهمها دفاعات التكافل من خلال نشاط كل مستويات الوعى وقنواته، وبالذات الوعى الجمعى، وهكذا عاشوا جيلا بعد جيل، ونوعا بعد نوع كل بما يناسبه، وكل حسب المرحلة التي توقف عندها، وقد نجحوا فى استيعاب كل ذلك، دون أن يقرأوا هذه الأرقام أو يعقدوا مثل هذه المؤتمرات!!

وهنا شعرت بمأزق جديد وخفت أن يُظنَّ بى أننى أدعو أن ننهج نهجهم، وبالتالي نتازل عن اللغة والرموز لنحذو حذوهم، فتنبهت أن ذلك غير وراذ أصلاً، وهو نكوص مرفوض وردة تدهورية، فلكل مرحلة قوانينها، وآلياتها ودفاعاتها، وليس المطلوب الرجوع إلى التاريخ ولكن المطلوب هو استيعاب التاريخ والانطلاق منه من خلال حركية الوعى الإبداعية المتزايدة المتجددة باستمرار، كلُّ بنوعية وجوده وتكامل طبقات وعيه.

أعتقدت أننى وقد وصلت إلى هذه النقطة أن الأمر يحتاج إلى الاستشهاد بأمثلة محددة، فقررت أن استشهد بما جاء فى نشرة الإثنين الماضى بعنوان "الأسهل أصعب" ودعوتى أعترف مرة أخرى أننى كتبت تلك النشرة لأسهل الفكرة، وإذا بى وأنا أراجعها أتصور أننى صعبتها، فغيرت العنوان إلى ما ظهرت به النشرة "الأسهل أصعب"، ولكن بعد هذه المحاضرة أسفت لتغيير العنوان ولاح لى أن الأصعب أسهل!!

ولكن دعوتى أنقل المقطف بنصه من هذه النشرة حرفيا وهو ما قلته مُحرَجًا فى المؤتمر،

كالتالى:

.. "أنا لا أتردد أن أشرح لطلبتى الذين لا يشاهدون أسراب أو حتى فرادى العصافير، لا أتردد أن

المعرفة الأحدث التى تتاح لى، هو الذى يصور لى أن الأمر سهل ومباشر، وأن كل ما حدا ذلك هو الذى يحتاج شرحا وتبريرا، فى حين أن واقع الحال مما يطنى من مثل هذه المؤتمرات هو أن الأمر يكاد يكون بالعكس تماما فهى مسئوليتى مهما كان الأمر ولا بد من البحث عن حل

أن ما تبقى من الأحياء كلهم هو واحد فى الألف من سائر الأحياء الذين وجدوا على الأرض ومن بين هؤلاء الأحياء الذين بقوا كائن يسمى "الإنسان". وكل ما حوله من أحياء استطاعوا حذق استيعاب البرامج التى أتاحتها خالقهم لهم ولنا بكفاءة تُبقي من يحسن استعمالها

إذن فمنهم وهم لا تمثل إلا واحدا من ألف مما خلق الله فى حين فشلت الأغلبية الغالبة أن تتبع برامجه وقوانينه، فانقرضت

عمر الحياة 35 بليون سنة 000.000.000 بليون سنة واحد على ألف من الثانية تحدث فيه أحداث ودورات قد تغير مسار النمو والتطور

المعلومة التى وصلتني مؤخرا من أحدث الأحدث فى النيوربيولوجية المخية وكيف أن المخ يعيد بناء نفسه باستمرار باستمرار ليل نهار!



أن سائر الأحياء من الواحد  
في الألف الذين بقوا معه  
حتى الآن قد نجحوا في البقاء  
من خلال استعمال نفس هذه  
البرامج وآليات الدفاع ضد  
الانقراض، ومن أهمها  
دفاعات التكافل من خلال  
نشاط كل مستويات الوعي  
وقنواته، وبالذات الوعي  
الجمعي

أن تنشيط "الوعي  
البيئشخصي" إلى "الوعي  
الجمعي" هو من أعظم  
ميكانيزمات البقاء

أشرح لهم نفس الفكرة بمثال قريب منهم مألوف لديهم ولو أنه مقزز - ولا مؤاخذه - لأوصل لهم  
كيف أن تنشيط "الوعي البيئشخصي" إلى "الوعي الجمعي": هو من أعظم ميكانيزمات البقاء، أشرح لهم  
ذلك بأن أذكرهم بمنظر الذباب وهو يطير فوق صفائح القمامة، ولا أجد حرجا في ذلك وأنا أتذكر قوله  
تعالى "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا"، وأنصحهم أن يتأملوا بقدر من السماح  
الطيب، بعد ضبط غرائز القرف والاشمئزاز، أن يتأملوا عددا من الذباب وهو يحوم حول صفائح قمامة  
"معا"، يرتشق منها ما تيسر ليبقيه حيا ضمن الواحد في الألف (مثلنا)، كما أذكره أن يتذكر معي -  
بعد إزاحة الاشمئزاز كما اتفقنا - أن هذا الموقف يجمع مجاميع الذباب عادة على مثل هذه الوليمة في  
نشاط وذكاء ملحوظين، وأنه (الزميل الذي اشرح له) لو تقدم وهشَّ الذباب من على القمامة ولو مرة  
واحدة، فإن الذباب سوف يبتعد ليعود لحفاظا على بقائه!"

( انتهى المقتطف )

ونواصل غداً.

- [1] آخر مثل ذلك كتاب شديد الأهمية بعنوان "الدراسات المستقبلية وفلسفة العلم الحديث" تأليف :  
ويندل ب. ترجمة أمينة الجميل ومحمد العربي، سلسلة مكتبة الاسكندرية وحدة الدراسات المستقبلية عن  
المؤتمر الدولي الثالث لمكافحة التطرف 17 - 19 - 2017
- [2] بالإضافة إلى زملائي وزميلاتي الأفاضل والضيوف العلماء والأطباء الكرام الذين تفضلوا بتشريفنا.

\*\*\* \*\*

## سلسلة ملفات

### " الأنسان و التطور "

برفيسور يحيى الرخاوي - استاذ الطب النفسي، مصر

" بوستر " سلسلة ملفات " الأنسان و التطور "

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.RakhawyPubBr.pdf>

سلسلة ملفات " الأنسان و التطور " على المتجر الإلكتروني

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=20&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=20&controller=category&id_lang=3)

سلسلة ملفات " الأنسان و التطور " على شبكة علوم النفس العربية

<http://arabpsynet.com/Rakhawy/IndexeBRak.htm>

سلسلة ملفات " الأنسان و التطور " على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Al-Inssan-Wa-Attatawer-Arabpsyfound-Publications--1779362208960201/>

رابط " بروشير " - تعريفه وجيز

<http://arabpsynet.com/Rakhawy/RakBiorhythmicPsyBr1.pdf>

رابط " بروشير " - الفهم

<http://arabpsynet.com/Rakhawy/RakBiorhythmicPsyBr2.pdf>